

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[211] فكأن يوسف يريد أن يفهم السجينين أنَّهُ لِمَ تريان الحرية في النوم ولا تريانها في اليقظة؟! أليس ذلك من تفرقتكم وشرككم ونفاقكم الذي مصدره عبادة الأوثان والأرباب المتفرّقين ممّا سبّب أن يتغلّب عليكم الطغاة والجبابرة؟! فلم لا تجتمعون تحت راية التوحيد، وتعتصموا بحبل الواحد القهّار، لتطردوا من مجتمعكم هؤلاء الظالمين والجبابرة الذين يسوقونكم إلى السجن أبرياء دون ذنب؟! ثمّ يضيف قائلا: (ما تعبدون إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل إلّا بها من سلطان) بل هي صنع عقولكم العاجزة وأفكاركم المنحرفة .. (إنّ الحكم إلّا إلّا) فلا ينبغي أن تطأطئوا رؤوسكم لسواه من الطغاة والفراعنة، ثمّ أضاف زيادة في التأكيد قائلا: (أمر إلّا تعبدوا إلّا إيّاه ذلك الدين القيّم). أي إنّ التوحيد في جميع أبعاده - في العبادة، في الحكومة، في المجتمع، في المسائل الثقافية، وفي كلّ شيء - هو الدين الإلهي المستقيم والثابت. (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ولذلك خضعوا لحكومة غير (إلّا) فذاقوا الشقاء والسجون في هذا السبيل. وبعد أن أرشد يوسف صاحبي سجنه ودلّهما ودعاهما إلى حقيقة التوحيد، بدأ بتعبير الرؤيا لهما .. لأنّهما من البداية جاءا لهذا الأمر وقد وعدهما بتعبير الرؤيا، ولكنّه إغتنم الفرصة وحدّثهما عن التوحيد الحي والمواجهة مع الشرك، ثمّ التفت إليهما وقال: (يا صاحبي السجن أمّا أحكما فيسقي ربّه خمرا وأمّا الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه). وبالرغم من تناسب كلّ رؤيا مع ما عبّره يوسف، فكان معلوماً إجمالاً مَن الذي يطلق من السجينين؟ ومن الذي يصلب منهما؟ إلّا أنّ يوسف لم يرغب في أن يُبيّن التعبير بصراحة أكثر من هذه .. خاصّة وأنّ فيه خيراً غير مريح، لذلك جعل التعبير تحت عنوان "أحكما".